دراسة تحليلية لسيرة الحافظ العراقي

لا بد لنا وقد خضنا غمرة تحقيق كتاب شرح التبصرة والتذكرة أن نعرج على تعريف موجز بمؤلف الكتاب ، ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ ، لا سيّما أن هذا العمل يُعدّ مفتاحاً للولوج إلى معرفة أكثر بالمؤلف ، تعين القارئ على تكوين صورة مجملة عنه ، توضح مكانته العلمية والمدة الزمنية التي عاشها .

ويشتمل هذا الفصل على ثمانية مباحث نوردها تباعاً :

المبحث الأول

اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وولادته :

هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي[1] الرازياني [2] العراقي الأصل [3] المهراني [4] المصري المولد الشافعي المذهب . كنيته : أبو الفضل ، ويلقّب بـ(زين الدين)[5].وُلِدَ في اليوم الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة (725 هـ) [6].

المبحث الثاني

أسرته :

أقام أسلاف الحافظ العراقي في قرية رازيان – من أعمال إربل [7] – إلى أن انتقل والده وهو صغير مع بعض أقربائه إلى مصر [8]، إذ استقر فيها وتزوج من امرأة مصرية [1] ولدت له الحافظ العراقي . وكانت أسرته ممن عُرفوا بالزهد والصلاح والتقوى، وقد كان لأسلافه مناقب ومفاخر [2] ، وكانت والدته ممن اشتهرن بالاجتهاد في العبادات والقربات مع الصبر والقناعة [3] .

---

1) نسبة إلى أقوام يقطنون شمال العراق ، إذ أن أصل المتَرْجَم منهم. الأنساب 4 / 609.

2) نسبة إلى رازيان : قرية من قرى إربل (أربيل: محافظة في شمال العراق). طبقات الحفاظ 543 .

3) نسبة إلى عراق العرب ، وهو القطر الأعظم الذي يضم قرية أبيه . الضوء اللامع 4 / 171 ، وطبقات المفسرين 1 / 309 .

4) نسبة إلى منشأة المهراني : موضع بين مصر والقاهرة ، حيث ولد المترجم . طبقات الحفاظ 543 .

5) قد يخفّف فيقال:الزين،كما جرت عادتهم آنذاك، فيقولون مثلاً: الشمس الذهبي والتقي السبكي ونحوهما.

6) لحظ الألحاظ 221 ، والضوء اللامع 4 / 171 ، والبدر الطالع 1 / 354 .

7) طبقات المفسرين 1 / 309 .

8) طبقات الحفاظ 543 .

1) لحظ الألحاظ 220 ، والضوء اللامع 4 / 171 .

2) الضوء اللامع 4 / 171 .

3) لحظ الألحاظ 221 ، والضوء اللامع 4 / 171 ، وذيل طبقات الحفاظ للسيوطي 370 .

أمّا والدُه فقد اختصَّ – منذ قدومه مصر – بخدمة الصالحين [4] ، ولعلَّ من أبرز الذين اختصَّ والده بخدمتهم الشيخ القناوي [5] . ومن ثَمَّ ولد للمتَرجَم ابنٌ أسماه : أحمد وكنَّاه : أبا زرعة ، ولقَّبه : بولي الدين [6] ، وكذلك بنت تدعى : خديجة ، صاهره عليها : الحافظ نور الدين الهيثمي ورزق منها بأولاد ، وأشارت بعض المصادر أنَّ له ابنتين أخريين : جويرية [7] وزينب [8] .

المبحث الثالث

نشأته :

وُلِد الحافظ العراقي – كما سبق – في مصر ، وحمله والده صغيراً إلى الشيخ القناوي ؛ ليباركه ، إذ كان الشيخ هو البشير بولادةِ الحافظ ، وهو الذي سمَّاه أيضاً [9] ؛ ولكنَّ الوالد لَمْ يقم طويلاً مَعَ ولده ، إذ إنَّ يدَ المنونِ تخطَّفته والطفل لَمْ يزل بَعْد طريَّ العود ، غضَّ البنية لَمْ يُكمل الثالثة من عمره [10] ، وَلَمْ نقف عَلَى ذكر لِمَن كفله بَعْدَ رحيل والده ، والذي يغلب عَلَى ظننا أنّ الشَّيْخ القناوي هُوَ الَّذِي كفله وأسمعه [11] ؛ وذلك لأن أقدم سماع وجد له كان سنة (737 هـ) بمعرفة القناوي [1] وكان يُتَوقّعُ أن يكون له حضور أو سماع من الشيخ ، إذ كان كثير التردد إليه سواء في حياة والده أو بعده ، وأصحاب الحديث عند الشيخ يسمعون منه ؛ لعلوِّ إسناده [2].

وحفظ الزينُ القرآنَ الكريمَ والتنبيه وأكثر الحاوي مَعَ بلوغه الثامنة من عمره [3] ، واشتغل في بدء طلبه بدرس وتحصيل علم القراءات ، وَلَمْ يثنِ عزمه عَنْهَا إلا نصيحة شيخه العزّ بن جَمَاعَة ، إذ قَالَ لَهُ : ((إنَّهُ عَلم كثِيْر التعب قليل الجدوى ، وأنت متوقد الذهن فاصرف همَّتك إِلَى الْحَدِيْث)) [4]. وكان قد سبق له أن حضر دروس الفقه على ابن عدلان ولازم العماد محمد بن إسحاق البلبيسي [5] ، وأخذ عن الشمس بن اللبان ، وجمال الدين الإسنوي الأصولَ [6] وكان الأخير كثير الثناء على فهمه ، ويقول : ((إنَّ ذهنه

---

4) طبقات الحفاظ 543 .

5) هو الشيخ الشريف تقي الدين محمد بن جعفر بن محمد القناوي الشافعي ، كان عالي الإسناد من الموصوفين بالصلاح ، توفي سنة (737 هـ) . الدرر الكامنة 4 / 35 والضوء اللامع 7 / 104 ، وحسن المحاضرة 1 / 421 .

6) ستأتي ترجمته في مبحث تلامذته .

7) نظم العقيان 103 .

8) نظم العقيان 114 ، وانظر : الضوء اللامع 4 / 171 .

9) لحظ الألحاظ 220 – 221 ، وطبقات الحفَّاظ 543 .

10) لحظ الألحاظ 221 .

11) الضوء اللامع 4 / 171 .

1) لحظ الألحاظ 221 .

2) الضوء اللامع 4 / 171 .

3) لحظ الألحاظ 227 .

4) لحظ الألحاظ 221 ، الضوء اللامع 4 / 172 .

5) الضوء اللامع 4 / 172 .

6) لحظ الألحاظ 221 .

صحيح لا يقبل الخطأ)) [7] ، وكان الشيخ القناوي في سنة سبع وثلاثين – وهي السنة التي مات فيها – قد أسمعه على الأمير سنجر الجاولي ، والقاضي تقي الدين بن الأخنائي المالكي ، وغيرهما ممّن لم يكونوا من أصحاب العلوّ [8].

ثمَّ ابتدأ الطلب بنفسه ، وكان قد سمع على عبد الرحيم بن شاهد الجيش وابن عبد الهادي وقرأ بنفسه على الشيخ شهاب الدين بن البابا [9] ، وصرف همَّته إلى التخريج وكان كثير اللهج بتخريج أحاديث " الإحياء " وله من العمر -آنذاك- عشرون سنة [10] وقد فاته إدراك العوالي مما يمكن لأترابه ومَن هو في مثل سنّه إدراكه ، ففاته يحيى بن المصري – آخر مَن روى حديث السِّلَفي عالياً بالإجازة [11] – والكثير من أصحاب ابن عبد الدائم والنجيب بن العلاّق [1] ، وكان أوّل مَن طلب عليه الحافظ علاء الدين بن التركماني في القاهرة وبه تخرّج وانتفع [2] ، وأدرك بالقاهرة أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه وهو من أعلى مشايخه إسناداً [3] ، ولم يلقَ من أصحاب النجيب غيره [4] ، ومن ناصر الدين محمد بن إسماعيل الأيوبي [5]، ومن ثَمَّ شدَّ رحاله – على عادة أهل الحديث [6] – إلى الشام قاصداً دمشق فدخلها سنة (754 هـ) [7] ، ثُمَّ عادَ إليها بعد ذلك سنة (758 هـ) ، وثالثة في سنة (759 هـ) [8] ، ولم تقتصر رحلته الأخيرة على دمشق بل رحل إلى غالب مدن بلاد الشام [9] ، ومنذ أول رحلة له سنة (754 هـ) لم تخلُ سنة بعدها من الرحلة إمّا في الحديث وإمّا في الحجّ [10] ، فسمع بمصر [11] ابن
عبد الهادي ، ومحمد بن علي القطرواني ، وبمكة أحمد بن قاسم الحرازي ، والفقيه خليل إمام المالكية بها ، وبالمدينة العفيف المطري ، وببيت المقدس العلائي ، وبالخليل خليل بن عيسى القيمري ، وبدمشق ابن الخباز ، وبصالحيتها ابن قيم الضيائية ، والشهاب المرداوي ، وبحلب سليمان بن إبراهيم بن المطوع ،

---

7) الضوء اللامع 4 / 172 .
8) الضوء اللامع 4 / 171 ، وانظر في معرفة العلو كتابنا هذا 2 / 360 – 377 .
9) شذرات الذهب 7 / 55 .
10) الضوء اللامع 4 / 173 .
11) الضوء اللامع 4 / 171 .
1) شذرات الذهب 7 / 56 .
2) الضوء اللامع 4 / 172 .
3) شذرات الذهب 7 / 56 .
4) الضوء اللامع 4 / 172 .
5) الضوء اللامع 4 / 172 .
6) انظر : علوم الحديث 222 ، وانظر : كتابنا هذا 2 / 332 .
7) لحظ الألحاظ 223 .
8) المصدر نفسه .
9) لحظ الألحاظ 223 ، والضوء اللامع 4 / 172 .
10) الضوء اللامع 4 / 173 .
11) انظر : الضوء اللامع 4 / 172 – 173 .

والجمال إبراهيم بن الشهاب محمود في آخرين بهذه البلاد وغيرها كالإسكندرية ، وبعلبك ، وحماة ، وحمص ، وصفد ، وطرابلس ، وغزّة ، ونابلس ... تمام ستة وثلاثين مدينة . وهكذا أصبح الحديث ديدنه وأقبل عليه بكليته [12] ، وتضلّع فيه رواية ودراية وصار المعول عليه في إيضاح مشكلاته وحلّ معضلاته ، واستقامت له الرئاسة فيه ، والتفرد بفنونه ، حتّى إنّ كثيراً من أشياخه كانوا يرجعون إليه ، وينقلون عنه – كما سيأتي – حتَّى قال ابن حجر : ((صار المنظور إليه في هذا الفن من زمن الشيخ جمال الدين الأسنائي ... وهلمَّ جرّاً ، ولم نرَ في هذا الفنّ أتقن منه ، وعليه تخرج غالب أهل عصره)) [1] .

المبحث الرابع

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه :

مما تقدّم تبيّنت المكانة العلمية التي تبوّأها الحافظ العراقي ، والتي كانت من توفيق الله تعالى له ، إذ أعانه بسعة الاطلاع ، وجودة القريحة وصفاء الذهن وقوة الحفظ وسرعة الاستحضار ، فلم يكن أمام مَن عاصره إلاّ أن يخضع له سواء من شيوخه أو تلامذته . ولعلّ ما يزيد هذا الأمر وضوحاً عرض جملة من أقوال العلماء فيه ، من ذلك :

1. قال شيخه العزّ بن جماعة : ((كلّ مَن يدّعي الحديث في الديار المصرية سواه فهو مدَّعٍ)) [2] .
2. قال التقي بن رافع السلامي : ((ما في القاهرة مُحَدِّثٌ إلاّ هذا ، والقاضي عزّ الدين ابن جماعة))، فلمَّا بلغته وفاة العزّ قال : ((ما بقي الآن بالقاهرة مُحَدِّثٌ إلاّ الشيخ زين الدين العراقي)) [3] .
3. قال ابن الجزري : ((حافظ الديار المصرية ومُحَدِّثُها وشيخها)) [4] .
4. قال ابن ناصر الدين : ((الشيخ الإمام العلاّمة الأوحد ، شيخ العصر حافظ الوقت ... شيخ المُحَدِّثِيْن عَلَم الناقدين عُمْدَة المخرِّجين)) [5] .
5. قال ابن قاضي شهبة : ((الحافظ الكبير المفيد المتقن المحرّر الناقد ، محَدِّث الديار المصرية ، ذو التصانيف المفيدة)) [6] .
6. قال التقي الفاسي : ((الحافظ المعتمد ، ... ، وكان حافظاً متقناً عارفاً بفنون الحديث وبالفقه والعربية وغير ذلك ، ... ، وكان كثير الفضائل والمحاسن)) [7] .

---

(12) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 3 / 30 .
(1) إنباء الغمر 2 / 275 – 276 .
(2) الضوء اللامع 4 / 173 .
(3) لحظ الألحاظ 227 .
(4) غاية النهاية 1 / 382 .
(5) الردّ الوافر 107 .
(6) طبقات الشافعية 4 / 29 .
(7) ذيل التقييد 114 / أ – 115 / ب .

7. وقال ابن حجر : حافظ العصر [1] ، وقال : ((الحافظ الكبير شيخنا الشهير)) [2] .
8. وقال ابن تغري بردي : ((الحافظ ، ... شيخ الحديث بالديار المصرية ، ... وانتهت إليه رئاسة علم الحديث في زمانه)) [3] .
9. وقال ابن فهد : ((الإمام الأوحد ، العلاّمة الحجة الحبر الناقد ، عمدة الأنام حافظ الإسلام ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، من فاق بالحفظ والإتقان في زمانه ، وشهد له في التفرّد في فنه أئمة عصره وأوانه)) [4] . وأطال النفس في الثناء عليه .
10. وقال السيوطي: ((الحافظ الإمام الكبير الشهير ،... حافظ العصر)) [5] .

ويبدو أنّ الأمر الأكثر إيضاحاً لمكانة الحافظ العراقي ، نقولات شيوخه عنه وعودتهم إليه ، والصدور عن رأيه ، وكانوا يكثرون من الثناء عليه ، ويصفونه بالمعرفة ، من أمثال السبكي والعلائي وابن جماعة وابن كثير والإسنوي [6] .

ونقل الإسنوي عنه في " المهمات " وغيرها [7] ، وترجم له في طبقاته ولم يترجم لأحد من الأحياء سواه [8] ، وصرّح ابن كثير بالإفادة منه في تخريج بعض الشيء [9] .

ومن بين الأمور التي توضّح مكانة الحافظ العراقي العلمية تلك المناصب التي تولاها ، والتي لا يمكن أن تسند إليه لولا اتفاق عصرييه على أولويته لها ، ومن بين ذلك :

تدريسه في العديد من مدارس مصر والقاهرة مثل : دار الحديث الكاملية [10] ، والظاهرية القديمة [11] ، والقراسنقرية [12] ، وجامع ابن طولون [1] والفاضلية [2] ، وجاور مدةً بالحرمين [3] .

---

(1) إنباء الغمر 2 / 275 .
(2) المجمع المؤسس 89 / أ .
(3) النجوم الزاهرة 13 / 34 .
(4) لحظ الألحاظ : 220 .
(5) طبقات الحفاظ : 543 .
(6) الضوء اللامع (4 / 173) .
(7) المصدر نفسه .
(8) الضوء اللامع (4 / 173) .
(9) المصدر نفسه .
(10) طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة (4 / 32) . وهي مدرسة تنسب إلى بانيها الملك الكامل محمد بن الملك العادل (ت 622 هـ) . ينظر : خطط المقريزي (3 / 335) .
(11) الضوء اللامع (4/174). ونسبتها إلى بانيها الملك الظاهر بيبرس . انظر : حسن المحاضرة (2/264).
(12) الضوء اللامع (4/174).وتنسب إلى بانيها الأمير شمس الدين قراسنقر.انظر:خطط المقريزي (3/357).
(1) الضوء اللامع (4 / 174) .
(2) طبقات الشافعية (4 / 32) . ونسبتها إلى بانيها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني .
انظر : خطط المقريزي (3/319) ، والخطط التوفيقية (6/12) .
(3) الضوء اللامع (4 / 174) .

كما أنّه تولّى قضاء المدينة المنورة ، والخطابة والإمامة فيها ، منذ الثاني عشر من جُمَادَى الأولى سنة (788 هـ) ، حتى الثالث عشر من شوال سنة (791 هـ) ، فكانت المدة ثلاث سنين وخمسة أشهر [4] .

وفي سبيل جعل شخصية الحافظ العراقي بينة للعيان من جميع جوانبها ، ننقل ما زَبَّره قلم تلميذه وخِصِّيصه الحافظ ابن حجر في وصفه شيخه ، إذ قال في مجمعه [5] :

((كان الشيخ منور الشيبة ، جميل الصورة ، كثير الوقار ، نزر الكلام ، طارحاً للتكلف ، ضيق العيش ، شديد التوقي في الطهارة ، لطيف المزاج ، سليم الصدر ، كثير الحياء ، قلّما يواجه أحداً بما يكرهه ولو آذاه ، متواضعاً منجمعاً ، حسن النادرة والفكاهة ، وقد لازمته مدّة فلم أره ترك قيام الليل ، بل صار له كالمألوف ، وإذا صلّى الصبح استمر غالباً في مجلسه ، مستقبل القبلة ، تالياً ذاكراً إلى أن تطلع الشمس ، ويتطوع بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر وستة شوال ، كثير التلاوة إذا ركب ...)) ، ثُمَّ ختم كلامه قائلاً : ((وليس العيان في ذلك كالخبر)) .

المبحث الخامس

شيوخه :

عرفنا فيما مضى أنَّ الحافظ العراقي منذ أن أكبَّ على علم الحديث ؛ كان حريصاً على التلقي عن مشايخه ، وقد وفّرت له رحلاته المتواصلة سواء إلى الحج أو إلى بلاد الشام فرصة التنويع في فنون مشايخه والإكثار منهم .

والباحث في ترجمته وترجمة شيوخه يجد نفسه أمام حقيقة لا مناص عنها ، وهي أنَّ سمة الحديث كانت الطابع المميز لأولئك المشايخ ، مما أدَّى بالنتيجة إلى تنّوع معارف الحافظ العراقي وتضلّعه في فنون علوم الحديث ، فمنهم من كان ضليعاً بأسماء الرجال ، ومنهم من كان التخريج صناعته ، ومنهم من كان عارفاً بوفيات الرواة ، ومنهم من كانت في لغة الحديث براعته ... وهكذا . وهذا شيء نلمسه جلياً في شرحه هذا بجميع مباحثه ، وذلك من خلال استدراكاته وتعقباته وإيضاحاته والفوائد التي كان يطالعنا بها على مرِّ صفحات شرحه الحافل .

ومسألة استقصاء جميع مشايخه – هي من نافلة القول – فضلاً عن كونها شبه متعذرة سلفاً ، لاسيّما أنه لم يؤلف معجماً بأسماء مشايخه على غير عادة المحدّثين ، خلافاً لقول البرهان الحلبي من أنه خرّج لنفسه معجماً [1] .

لذا نقتصر على أبرزهم ، مع التزامنا بعدم إطالة تراجمهم :

---

4) إنباء الغمر (2 / 277) ، والضوء اللامع (4 / 174) ، وطبقات الحفاظ : 544 .

5) المجمع المؤسس (90 / أ) .

1) ينظر : الضوء اللامع 4 / 174 .

1 – الإمام الحافظ قاضي القضاة علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني ، المشهور بـ ((ابن التركماني)) الحنفي ، مولده سنة (683 هـ) ، وتوفي سنة (750 هـ) ، له من التآليف : " الجوهر النقي في الرد على البيهقي ، وغيره [2] .
2 – الشيخ المُسْنِد المعمر صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي المصري ، ولد سنة (664 هـ) ، وهو آخر من روى عن النجيب الحراني ، وابن العلاق ، وابن عزون ، وتوفي سنة (754 هـ) [3] .
3 – الإمام الحافظ العلاّمة علاء الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي ثم المقدسي ، ولد سنة (694 هـ) ، وتوفي سنة (761 هـ) ، له من التصانيف : " جامع التحصيل "، و " الوشي المعلم "، و " نظم الفرائد " وغيرها [4].
4 – الإمام الحافظ العلاّمة علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بن قُليج بن عبد الله البكجري الحكري الحنفي ، مولده سنة (689 هـ) ، وقيل غيرها ، برع في فنون الحديث ، وتوفي سنة (762 هـ) ، من تصانيفه : ترتيب كتاب بيان الوهم والإيهام وسمّاه : " منارة الإسلام " ، ورتّب المبهمات على أبواب الفقه ، وله شرح على صحيح البخاري ، وتعقّبات على المزي ، وغيرها [5] .
5 – الإمام العلاّمة جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي ، شيخ الشافعية ، ولد سنة (704 هـ) ، وتوفي سنة (777 هـ) ، له من التصانيف : طبقات الشافعية ، والمهمات ، والتنقيح وغيرها [1] .

المبحث السادس

تلامذته :

تبين مما تقدّم أنّ الحافظ العراقي بعد أن تبوأ مكان الصدارة في الحديث وعلومه وأصبح المعوّل عليه في فنونه بدأت أفواج طلاب الحديث تتقاطر نحوه ، ووفود الناهلين من معينه تتجه صوبه ، لاسيّما وقد أقرَّ له الجميع بالتفرد بالمعرفة في هذا الباب ، لذا كانت فرصة التتلمذ له شيئاً يعدّه الناس من المفاخر ، والطلبة من الحسنات التي لا تجود بها الأيام دوماً .

والأمر الآخر الذي يستدعي كثرة طلبة الحافظ العراقي كثرة مفرطة ، أنه أحيا سنة إملاء الحديث – على عادة المحدّثين [2] –

---

2) انظر ترجمته في : الجواهر المضية 1/366 ، والدرر الكامنة 3 / 6 ، ولحظ الألحاظ : 125 .
3) انظر ترجمته في : الدرر الكامنة 4 / 274 ، والنجوم الزاهرة 0 / 291 .
4) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى 6/104، وطبقات الإسنوي 2 / 239 ، والدارس 1 / 59 .
5) انظر ترجمته في : الدرر الكامنة 4/352، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني : 133 ،طبقات الحفاظ : 538 .
1) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 3 / 198 ، والدرر الكامنة 2 / 463 ، وحسن المحاضرة 1 / 429 .
2) انظر : (2 / 26) البيت 699 من هذا الكتاب .

بعد أن كان درس عهدها منذ عهد ابن الصلاح فأملى مجالس أربت على الأربعمائة مجلس ، أتى فيها بفوائد ومستجدات ((وكان يمليها من حفظه متقنة مهذّبة محرّرة كثيرة الفوائد الحديثية)) على حد تعبير ابن حجر [3] .

لذا فليس من المستغرب أن يبلغوا كثرة كاثرة يكاد يستعصي على الباحث
سردها ، إن لم نقل أنها استعصت فعلاً ، فضلاً عن ذكر تراجمهم ، ولكن القاعدة تقول : ((ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه)) وانسجاماً معها نعرّف تعريفاً موجزاً بخمسة من تلامذته كانوا بحقّ مفخرة أيامهم وهم :

1 – الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي ، مولده سنة (725 هـ) ، وهو من أقران العراقي ، برع في الفقه ، وله مشاركة في باقي الفنون، توفي سنة (802 هـ)، من تصانيفه : الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح،وغيره[4].

2 – الإمام الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري ، ولد سنة (735 هـ) ، وهو في عداد أقرانه أيضاً ، ولكنه اختص به وسمع معه ، وتخرّج به ، وهو الذي كان يعلّمه كيفية التخريج ، ويقترح عليه مواضيعها ، ولازم الهيثمي خدمته ومصاحبته ، وصاهره فتزوج ابنة الحافظ العراقي ، توفي سنة (807 هـ) ، من تصانيفه : مجمع الزوائد ، وبغية الباحث ، والمقصد العلي ، وكشف الأستار ، ومجمع البحرين ، وموارد الظمآن ، وغيرها [1] .

3 – ولده : الإمام العلاّمة الحافظ ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي الأصل المصري الشافعي المذهب ، ولد سنة (762 هـ) ، وبكّر به والده بالسماع فأدرك العوالي ، وانتفع بأبيه غاية الانتفاع ، ودرّس في حياته ، توفي سنة (826 هـ) ، من تصانيفه : " الإطراف بأوهام الأطراف " و " تكملة طرح التثريب " و " تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل " ، وغيرها [2] .

4 – الإمام الحافظ برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المشهور بسبط ابن العجمي ، مولده سنة (753 هـ) ، رحل وطلب وحصّل ، وله كلام لطيف على الرجال ، توفي سنة (841 هـ) ، من تصانيفه : " حاشية على الكاشف "

---

3) المجمع المؤسس (200 / أ) .

4) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 4 / 5 ، وإنباء الغمر 2 / 112 .

1) انظر في ترجمته : إنباء الغمر 2/ 309 ، ولحظ الألحاظ : 239 ، والضوء اللامع 5 / 200 ، وحسن المحاضرة 1 / 362 .

2) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 4 / 80 ، ولحظ الألحاظ : 284 ، والضوء اللامع 1 / 336 ، وحسن المحاضرة 1 / 363 .

للذهبي و " نثل الهميان " [3] و " التبيين في أسماء المدلّسين " و " الاغتباط فيمن رمي بالاختلاط " وغيرها [4] .

5 – الإمام العلاّمة الحافظ الأوحد شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر ، ولد سنة (773 هـ) ، طلب ورحل ، وألقي إليه الحديث والعلم بمقاليده ، والتفرد بفنونه ، توفي سنة (852 هـ) ، من تصانيفه: "فتح الباري" و "تهذيب التهذيب" وتقريبه و" نزهة الألباب "، وغيرها[5].

المبحث السابع

آثاره العلمية :

لقد عرف الحافظ العراقي أهمية الوقت في حياة المسلم ، لذا فقد عمل جاهداً على توظيف الوقت بما يخدم السنة العزيزة ، بحثاً منه أو مباحثة مع غيره فكانت ((غالب أوقاته في تصنيف أو إسماع)) كما يقول السخاوي [1] ، لذا كثرت تصانيفه وتنوعت ، مما حدا بنا – من أجل جعل البحث أكثر تخصصاً – إلى تقسيمها على قسمين : قسم خاصّ بمؤلفاته التي تتعلق بالحديث وعلومه ، وقسم يتضمن مؤلفاته في العلوم الأخرى ، وسنبحث كلاً منهما في مطلب مستقل .

المطلب الأول

مؤلفاته فيما عدا الحديث وعلومه :

تنوعت طبيعة هذه المؤلفات ما بين الفقه وأصوله وعلوم القرآن ، غير أنَّ أغلبها كان ذا طابع فقهي ، يمتاز الحافظ فيه بالتحقيق ، وبروز شخصيته مدافعاً مرجّحاً موازناً بين الآراء .

على أنَّ الأمر الذي نأسف عليه هو أنَّ أكثر مصنفاته فُقدت ، ولسنا نعلم سبب ذلك ، وقد حفظ لنا مَنْ ترجم له بعض أسماء كتبه ، تعين الباحث على امتلاك رؤية أكثر وضوحاً لشخص هذا الحافظ الجليل ، وإلماماً بجوانب ثقافته المتنوعة المواضيع .

ومن بين تلك الكتب :

1 – أجوبة ابن العربي [2] .

2 – إحياء القلب الميت بدخول البيت [3] .

---

(3) وفي خزانتنا نسخة منه بخط مؤلفها مصورة عن دار الكتب المصرية برقم (23346 ب) .

(4) انظر في ترجمته:لحظ الألحاظ:308،وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي: 379،وشذرات الذهب 7 / 237.

(5) انظر ترجمته في : لحظ الألحاظ : 326 ، والضوء اللامع 2 / 36 ، وحسن المحاضرة 1 / 363 .

(1) الضوء اللامع 4 / 175 .

(2) لحظ الألحاظ : 231 ، ولا نعلم شيئاً أكثر من هذا عنه .

(3) لحظ الألحاظ : 231 ، وذكره الحسيني محقق شرح التبصرة (1 / 18) باسم : " إحياء القلب الميت بأحكام دخول البيت " ، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية برقم (3854) .

3 – الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد [4] .
4 – أسماء الله الحسنى [1] .
5 – ألفية في غريب القرآن [2] .
6 – تتمات المهمات [3] .
7 – تاريخ تحريم الربا [4] .
8 – التحرير في أصول الفقه [5] .
9 – ترجمة الإسنوي [6] .
10 – تفضيل زمزم على كلّ ماء قليل زمزم [7] .
11 – الرد على من انتقد أبياتاً للصرصري في المدح النبوي [8] .
12 – العدد المعتبر في الأوجه التي بين السور [9] .
13 – فضل غار حراء [10] .
14 – القرب في محبة العرب [11] .
15 – قرة العين بوفاء الدين [12] .
16 – الكلام على مسألة السجود لترك الصلاة [13] .
17 – مسألة الشرب قائماً [1] .
18 – مسألة قصّ الشارب [2] .
19 – منظومة في الضوء المستحب [3] .
20 – المورد الهني في المولد السني [4] .
21 – النجم الوهاج في نظم المنهاج [5] .

---

4) له نسخة خطية فريدة كتبت سنة (900 هـ) محفوظة في مكتبة رضا برامبور برقم [M 5642 (2684)] . انظر : الفهرس الشامل (الفقه وأصوله) (1 / 395) .
1) ذكره الحسيني محقق شرح التبصرة (1 / 18) ، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية برقم (3854) .
2) ذكر صاحب معجم المطبوعات العربية (1 / 901 ، 2 / 1218) ، أنها طبعت بهامش تفسير أبي محمد عبد العزيز المسمى : " التيسير في علم التفسير " ورد عليه الحسيني محقق شرح التبصرة 1 / 16: بأنَّ المطبوعة هي لولده، ولا نعلم أحداً ذكر مثل هذا لأبي زرعة ولد العراقي .
3) الضوء اللامع (4/173) ، وكشف الظنون (1 / 930 و 2 / 1915) باسم : "مهمات المهمات".
4) المجمع المؤسس (89 / ب) .
5) الأعلام (3 / 119) .
6) الدرر الكامنة (2 / 355) ، ولحظ الألحاظ : 231 .
7) لحظ الألحاظ : 231 .
8) مقدمة محقق شرح التبصرة 1/18، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية (3854).
9) إيضاح المكنون (2 / 96) ، هدية العارفين (1 / 562) .
10) لحظ الألحاظ : 231 .
11) طبع أكثر من مرة .
12) لحظ الألحاظ : 231 .
13) لحظ الألحاظ : 231 .
1) لحظ الألحاظ : 231 .
2) لحظ الألحاظ : 231 .
3) كشف الظنون (2/1867) . وقارن بفهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية (فقه شافعي):262–263.
4) لحظ الألحاظ : 231 .
5) المجمع المؤسس (89 / ب) .

22 – نظم السيرة النبوية [6] .
23 – النكت على منهاج البيضاوي [7] .
24 – هل يوزن في الميزان أعمال الأولياء والأنبياء أم لا ؟ [8] .

المطلب الثاني
مؤلفاته في الحديث وعلومه :

هذه الناحية من التصنيف كانت المجال الرحب أمام الحافظ العراقي ليظهر إمكاناته وبراعته في علوم الحديث ظهوراً بارزاً ، يَتَجلّى لنا ذلك من تنوع هذه التصانيف ، التي بلغت (42) مصنفاً تتراوح حجماً ما بين مجلدات إلى أوراق معدودة ، وهذه التصانيف هي :

1 – الأحاديث المخرّجة في الصحيحين التي تُكُلِّمَ فيها بضعف أو انقطاع [9] .
2 – الأربعون البلدانية [10] .
3 – أطراف صحيح ابن حبان [1] .
4 – الأمالي [2] .
5 – الباعث على الخلاص من حوادث القصاص [3] .
6 – بيان ما ليس بموضوع من الأحاديث [4] .
7 – تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي [5] .
8 – ترتيب من له ذكر أو تجريح أو تعديل في بيان الوهم والإيهام [6] .
9 – تخريج أحاديث منهاج البيضاوي [7] .
10- تساعيات الميدومي [8] .
11- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد [9] .

---

6) ذكرها غير واحد ، وفي خزانة مخطوطاتنا نسخة من شرحها لتلميذه سبط ابن العجمي، وأخرى من شرح المناوي .
7) الأعلام (3 / 119) .
8) مقدمة محقق شرح التبصرة 1/ 18، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية (3854) .
9) ذكره العراقي نفسه في شرحه هذا (1 / 137) ، وفي التقييد والإيضاح : 33 وقد أشار البقاعي في نكته (48 / أ) : إلى أنه لم يبيض ، وأن مسوّدته عدمت .
10) لحظ الألحاظ : 225 .
1) لحظ الألحاظ : 232 .
2) توجد بعض المجالس منها بظاهرية دمشق برقم (مجموع 51) وحديث (359) . انظر : الفهرس الشامل (1 / 242) .
3) وهو مطبوع .
4) ذكره السخاوي في فتح المغيث (1 / 256) ، ومنه نسخة في مكتبة السيد صبحي السامرائي .
5) وهو متن هذا الكتاب ، وقد اشتهر باسم : " ألفية الحديث " . وسيطبع إن شاء الله مفرداً بتحقيقنا ، وشرحه هو الكتاب الذي بين يديك .
6) لحظ الألحاظ : 232 .
7) توجد منه أربع نسخ خطية . الفهرس الشامل (1 / 351) .
8) منه نسختان خطيتان . الفهرس الشامل (1 / 101 ، 375) .
9) وهو متن كتابه الآتي " طرح التثريب " ، ولهذا المتن عدة نسخ خطية . المعجم الشامل 1/393 .

12- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح [10] .
13- تكملة شرح الترمذي لابن سيد الناس [11] .
14- جامع التحصيل في معرفة رواة المراسيل [12] .
15- ذيل على ذيل العبر للذهبي [1] .
16- ذيل على كتاب أسد الغابة [2] .
17- ذيل مشيخة البياني [3] .
18- ذيل مشيخة القلانسي [4] .
19 – ذيل ميزان الاعتدال للذهبي [5] .
20- ذيل على وفيات ابن أيبك [6] .
21- رجال سنن الدارقطني [7] .
22- رجال صحيح ابن حبان [8] .
23- شرح التبصرة والتذكرة [9] .
24- شرح تقريب النووي [10] .
25- طرح التثريب في شرح التقريب [11] .
26- عوالي ابن الشيخة [12] .
27- عشاريات العراقي [13] .
28- فهرست مرويات البياني [14]
29- الكلام على الأحاديث التي تُكُلِّمَ فيها بالوضع ، وهي في مسند الإمام أحمد [1] .

---

10) طبع طبعة هيَ إلى السقم أقرب،ونحن في طريقنا إلى طبعه محققاً تحقيقاً يليق بمكانة المؤلف ونفاسة الكِتَاب
11) وله عدة نسخ خطية . الفهرس الشامل (1 / 402) .
12) منه نسخة خطية في مكتبة راغب باشا برقم (236) . انظر : الفهرس الشامل 1/ 658 ولعل هذا الكتاب هو نفسه الذي ذكره ابن فهد باسم " الإنصاف " وهو نفسه الذي ذكره حاجي خليفة باسم " ذيل العراقي على هوامش كتاب العلائي جامع التحصيل " . انظر : لحظ الألحاظ : 231 ، وكشف الظنون (1 / 89) .
1) ذكره ولده أبو زرعة في ذيله على العبر (1 / 49) .
2) انظر : (3 / 6) من هذا الكتاب .
3) الدرر الكامنة 3 / 295 ، والنجوم الزاهرة 11 / 89 ، وكشف الظنون 2 / 1696 .
4) الدرر الكامنة (4 / 235) .
5) طبع بتحقيق السيد صبحي السامرائي عن مؤسسة الرسالة ، سنة 1409 هـ – 1989 م .
6) انظر : (3 / 240) من هذا الكتاب .
7) لحظ الألحاظ : 233 ، وأشار فيه إلى عدم تمامه .
8) لحظ الألحاظ : 232 ، وأشار فيه إِلَى أنه لم يتم .
9) وهو كتابنا هذا .
10) كشف الظنون (1 / 465) .
11) طبع قديماً ؛ لكن الذي يجب ملاحظته أن قسماً من الشرح أتمه ولده الحافظ ولي الدين أبو زرعة .
12) كشف الظنون (2 / 1178) .
13) منه نسختان خطيتان . انظر : الفهرس الشامل (1 / 104) ، وذكرها ابن حجر في المجمع المؤسس (89 / ب) ، وغيره .
14) الدرر الكامنة (3 / 295) .
1) التقييد والإيضاح : 57 ، وتعجيل المنفعة : 6 ، والقول المسدد : 6 . وتوجد في مكتبة رضا برامبور

30 – الكلام على حديث : التوسعة على العيال يوم عاشوراء [2] .
31- الكلام على حديث : صوم ستٍّ من شوال [3] .
32- الكلام على حديث : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه [4] .
33- الكلام على حديث : الموت كفّارة لكل مسلم [5] .
34- الكلام على الحديث الوارد في أقل الحيض وأكثره [6] .
35- المستخرج على مستدرك الحاكم [7] .
36- معجم مشتمل على تراجم جماعة من القرن الثامن [8] .
37- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأحاديث والآثار[9].
38- مشيخة عبد الرحمن بن علي المصري المشهور بابن القارئ [10] .
39- مشيخة محمد بن محمد المربعي التونسي وذيلها [11] .
40- من روى عن عمرو بن شعيب من التابعين [12] .
41- من لم يروِ عنهم إلا واحد [13] .
42- نظم الاقتراح [14] .

المبحث الثامن

وفاته :

تتفق المصادر التي بين أيدينا على أنَّه في يوم الأربعاء الثامن من شعبان سنة (806هـ) فاظت روح الحافظ العراقي عقيب خروجه من الحمام عن عمر ناهز الإحدى وثمانين سنة ، وكانت جنازته مشهودة ، صلّى عليه الشيخ شهاب الدين الذهبي ودفن خارج القاهرة [1] رحمه الله .

ولما تمتع به الحافظ العراقي في نفوس الناس ، فقد توجع لفقده الجميع ، ومن صور ذلك التوجع أن العديد من محبيه قد رثاه بغرر القصائد ، ومنها قول ابن الجزري [2] :

[1985 (874)] رسالة للحافظ العراقي باسم " رسالة في نقد مسند أحمد " وغالب ظننا أنها هي هذا الكتاب نفسه ، ولم نطلع عليها لنجزم بذلك .

(2) لحظ الألحاظ : 231 ، والمقاصد الحسنة : 431 ، واللالئ المصنوعة (2/112) .

(3) لحظ الألحاظ : 231 .

(4) لحظ الألحاظ : 231 .

(5) المغني عن حمل الأسفار (4 / 383) بهامش الإحياء ، ولحظ الألحاظ : 231 .

(6) لحظ الألحاظ : 232 .

(7) المجمع المؤسس (89 / ب) ، لحظ الألحاظ : 233 ، الضوء اللامع (4/ 174) .

(8) لحظ الألحاظ : 232 .

(9) طبع بهامش إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، وطبعة أخرى مع تخريجات السبكي والزبيدي بعناية محمود الحداد .

(10) إنباء الغمر 1 / 86 .

(11) الدرر الكامنة 4 / 247 .

(12) انظر : (3 / 75) من هذا الكتاب .

(13) تدريب الراوي (1 / 319) .

(14) منه نسخة خطية في مكتبة لاله لي برقم (392 (WEISW)) .

(1) غاية النهاية 1 / 382 ، إنباء الغمر 2 / 277 ، لحظ الألحاظ : 235 ، الضوء اللامع 4 / 177 حسن المحاضرة 1 / 360 ، البدر الطالع 1 / 356 .

(2) الضوء اللامع 4 / 176 .

رحمة الله للعراقي تترى حافظ الأرض حبرها باتفاق

إنني مقسم أليَّة صدق لم يكن في البلاد مثل العراقي

ومنها قصيدة ابن حجر ومطلعها [3]:

مصاب لم ينفس للخناق أصار الدمع جاراً للمآقي

ومن غرر شعر ابن حجر في رثاء شيخه العراقي قوله في رائيته التي رثا بها شيخه البلقيني :

نعم ويا طول حزني ما حييت على عبد الرحيم فخري غير مقتصر[4]

لَهْفِيْ على حافظ العصر الذي اشتهرت أعلامه كاشتهار الشمس في الظهر

علم الحديث انقضى لَمَّا قضى ومضى والدهر يفجع بعد العين بالأثر

لَهْفِيْ على فَقْدِ شيخَيَّ اللذان هما أعزّ عنديَ من سمعي ومن بصري

لَهْفِيْ على من حديثي عن كمالهما يحيي الرميم ويلهي الحي عن سمر

اثنانِ لم يرتقِ النسران ما ارتقيا نسر السما إن يلح والأرض إن يطر

ذا شبه فرخ عقاب حجة صدقت وذا جهينة إن يسأل عن الخبر

---

3) انظر القصيدة كاملة في إنباء الغمر 2 / 278 .

4) هكذا البيت في الأصل ، وَهُوَ غَيْر مستقيم الوزن .

لا ينقضي عجبي من وفق عمرهما العام كالعام حتى الشهر كالشهر

عاشا ثمانين عاما بعدها سنة وربع عام سوى نقص لمعتبر

الدين تتبعه الدنيا مضت بهما رزية لم تهن يوما على بشر

بالشمس وهو سراج الدين يتبعه بدر الدياجي زين الدين في الأثر [1]

الدكتور ماهر ياسين الفحل

---

4) انظر القصيدة كاملة في : حسن المحاضرة 1 / 330-335 .